مشكلات تعليمية البلاغة العربية

مراد مزعاش . المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة

❖❖❖❖❖

ملخص

تستند هذه الدراسة أكثر إلى التجربة الميدانية في تدريس البلاغة العربية في الجامعة، طوال سنين عديدة، إضافة إلى الاستعانة ببعض الدراسات الميدانية والنظرية التي تناولت هذا الموضوع. فبعد الإشارة إلى المفهوم، والحديث عن ظروف النشأة، وتحديد الأهداف، تحاول هذه الدراسة استقصاء وتتبع المشكلات التي تعترض الدرس البلاغي وتعليميته ـــ خاصة على مستوى الجامعات ـــ والذي يتحمل المسؤولية فيه مجموعة من الأطراف تشاركت في ذلك، توزعت بين: المادة البلاغية في حد ذاتها، والمدرس القائم بعملية التدريس، والطالب المتلقي للمادة العلمية، وطرق التدريس والتقويم، مركزة على أهم عناصرها، لتصل في نهاية المطاف إلى اقتراح مجموعة من الحلول والمقترحات .

Résumé

Cette étude est basée à une expérience sur le terrain dans l'enseignement de la rhétorique arabe à l'université, pendant de nombreuses années, en plus de tirer parti des études sur le terrain et la théorie sur ce sujet. Après avoir fait référence à la notion, et de parler des circonstances de l'établissement d'objectifs d'origination,, Cette étude tente d'enquêter et de suivre les problèmes qui se posent la leçon et rhétorique Talimith - en particulier au niveau universitaire - et qui porte la responsabilité d'un groupe de parties communes en elle, divisée entre: la rhétorique article en lui-même, et professeur à base de processus d'enseignement, et le destinataire des étudiants du matériel scientifique, et les méthodes d'enseignement et d'évaluation, en se concentrant sur les éléments les plus importants, pour arriver à la fin de la

journée pour proposer un ensemble de solutions et de propositions.

.

❖❖❖❖❖

الدرس البلاغي بين المفهوم وظروف النشأة والتطور:

نشأة البلاغة:

نشأ الدرس البلاغي نتيجة لمجموعة من المؤثرات والعوامل التاريخية والثقافية واللغوية والحضارية.. ليؤدي مجموعة من الأهداف، ويحقق عدداً من الغايات، توزعت طولاً وعرضاً وعمقاً في المنظومة الفكرية والأدبية العربية، ومازال بعض منها قائم إلى اليوم. فلقيت من الاهتمام والعناية من الدارسين والنقاد والمبدعين منذ عصور نشأتها الأولى إلى يومنا هذا رغم المساعي والدعوات والمعوقات والشكوك التي تثار حولها بين الفينة والأخرى في محاولة لإبعادها وتحييدها، نتيجة لعوامل وظروف يزعمونها ويسوقونها مبررين بها سلوكهم ومواقفهم هذه. خاصة في ظل سيطرة المناهج النقدية الحداثية الوافدة وعقم المناهج التراثية الراكدة .

معنى البلاغة

يتفق أكثر الباحثين أن ما اصطلح عليه بالبلاغة أو الدراسات البلاغية له دلالتان[1]:

الأولى : القدرة على التعبير من خلال عملية الإبداع التي يشمل الكلام فيها على قيم وعناصر فنية وجمالية وهي دلالة وصفية تقوم على وصف الآخر ببلاغة القول وفصاحة اللسان والقدرة على البيان، (بلاغة).

الثانية : وهي مجموعة المباحث والأصول والمقاييس والقواعد المتعلقة بفن الكلمة على المستوى الجمالي، وهي التي شكلت ما عرف بالبلاغة (المستوى التعليمي) وهي دلالة معيارية تتعلق بقواعد تحقق صفة البلاغة، (علم البلاغة).

مع تسجيل ملاحظة أن الدرس البلاغي قد نشأ في بيئات مختلفة ومتنوعة أثرت فيه وعملت على تطويره وترقية مناهجه وتنميته على جميع مستوياته[2] (بيئة المتكلمين والأصوليين واللغويين والنحاة والمفسرين والأدباء والنقاد وعلماء الإعجاز...).

الموروث التعليمي للبلاغة العربية:

ربما كانت محاولة أبي هلال العسكري في القرن الرابع الهجري (ت395هـ) أولى المحاولات في هذا الجانب من خلال ما طرحه وأورده من طرق ووسائل وكيفيات صناعة الشعر وصناعة النثر في كتابه الصناعتين[3] حيث أقام دراسته على منهج أساسه:

- ضبط تعريف الفن البلاغي.
- وضع فروعه وشروطه وقواعده.
- إيراد الأمثلة والشواهد لمختلف الحالات والنماذج.

وقد كانت محاولة الجرجاني[4] بعده في القرن الخامس الهجري (ت471هـ) أنضج وأكمل عمل في هذا

الميدان، حيث لم يضف من جاءوا بعده شيئا إلا ما كان من التجفيف والتلخيص والتفريع والتجريد من الذوق.

وقد وفق السكاكي[5] في القرن السابع الهجري (ت626هـ) في جعل كتابه مفتاح العلوم تعليميا تضبطه منهجية دقيقة في تقسيم الأبواب والأنواع وإيراد التعريفات والشواهد في إطار قواعد وقوانين دقيقة الضبط شديدة الجفاف...

الدرس البلاغي ومحاولة تحديثه:

ربما كانت محاولة محمد عبده وهو يعانق ركائز الإصلاح ويدفع بها إلى حمل بنيان النهضة الأدبية والدينية[6] من خلال إعادة اكتشاف عبد القاهر الجرجاني من خلال تدريسه لدلائل الإعجاز وأسرار البلاغة بداية نهضة البلاغة العربية في العصر الحديث، ثم ما تلاه من محاولات أخرى مثل ما فعل محمد مندور في كتابه الشامل النقد المنهجي عند العرب ، ثم عبد العزيز البشري وأمين الخولي وغيرهم...

أهداف تدريس البلاغة العربية:

والبلاغة منذ نشأتها وظهور أول المدونات والمؤلفات الخاصة بها, يسعى المهتمون بها والقائمون عليها من أدباء ومبدعين ونقاد ومدرسين وباحثين... إلى تحقيق مجموعة من الأهداف والغايات ضمن المنظومة الثقافية والفكرية والتعليمية للمجتمعات العربية.

وهذه الأهداف والغايات التي تعددت وتنوعت بتعدد وتنوع البيئات والمجتمعات والتي يسعى

المختصون والمهتمون بالبلاغة إلى تحقيقها تمحورت في ثلاثة اتجاهات[7]:

الأول: يسعى إلى تحقيق أهداف معرفية في جانبها اللغوي والأدبي والفكري.

الثاني: يسعى إلى تحقيق أهداف منهجية تتعلق بالبحث والتوثيق والتكوين.

الثالث: يسعى إلى تحقيق أهداف ترتبط بكيفيات السماع والتلقي وضوابط الإنتاج الإبداعي مع مهارة التحليل والوصف.من **خلال:**

1- تنمية قدرة الطالب في استعمال اللغة في نقل الأفكار ومحاكاة الأساليب البلاغية الراقية وتنمية ميولات القراءة والمطالعة.

2- تذوق النصوص الأدبية من قصة ومقالة ومسرحية وقصيدة... وفهم ما اشتملت عليه من أفكار والاستمتاع بها عن طريق إدراك أسرارها وفهم خصائصها ومواطن الجمال فيها.

3- تنمية الخيال والقدرة على النقد والتقويم وتحديد مستوى جودة النصوص والمفاضلة بينها على اعتبارها أحكاما فنية تقضي بالقبح والجمال وليست عقلية تقضي **بالخطأ والصواب.**

4- بيان ما في القرآن الكريم من إعجاز بلاغي وسمو بياني وتفوق أسلوبي...

طرق تدريس البلاغة:

يمكن القول إنه لا توجد طريقة يمكن اعتبارها مثلى في تدريس البلاغة العربية ولهذا رأينا طرقاً متعددة ومناهج مختلفة ومدارس متنوعة تسعى لتدريس البلاغة وتقديمها للمتلقين، وكان أكثر هذه الطرق عقيما لا يؤدي ما هو مرجو منه ولا يحقق الغاية التي من أجلها نشأت البلاغة,

فلا يترك أثراً ، ولا يحيي مواتاً، ولا ينمي ذوقاً ولا يبعث إحساساً.

والبلاغة من العلوم التي تدرس على المستوى الجامعي لذا ترتبط أهميتها من هذا الجانب بأهمية طرائق التدريس في الكليات، وبأهمية الدراسة الجامعية بشكل عام. والتي حظيت بشكل كبير من الاهتمام من قبل التربويين بوصفها مرحلة علمية متقدمة.

وعلى الرغم من أهمية طرائق التدريس في التعليم الجامعي- إذ أنها الوسيلة الأكثر أهمية لإيصال المعلومات إلى الطلبة - فإن خللا كبيرا في طرائق التدريس المتبعة مازال ينتاب التدريس الجامعي. وقد انعكس هذا الخلل - في طرائق التدريس - على المستوى التحصيلي للطلبة الذي يعاني من الضعف كما أكدت ذلك كثير من البحوث والدراسات التربوية. ولعل أهم الطرق التي يستعان بها في العملية التدريسية هي:

1- الطريقة الاستقرائية (الاستنتاجية): وهي الطريقة القائمة على عرض الأمثلة ومناقشتها ثم استقراء القاعدة من أفواه الطلبة. وتتبع أجزاء الدرس وأمثلته وتفاصيل المعلومات التي يحتويها لتستخرج منها خلاصة الدرس.

2- الطريقة القياسية: وهي على النقيض من الأولى حيث تقوم على عرض القاعدة ثم توضح بالأمثلة لتأتي التطبيقات والتدريبات عليها فيما بعد قياسا على القاعدة. فهي تبدأ بالكل وهو القاعدة وتنتهي بالجزء وهو المثال.

3- طريقة حل المشكلات (الأسلوب العلمي في التفكير): هدفها تنمية المهارات لدى الطالب من خلال صياغة المقرر في

صورة مشكلات يتم دراستها بخطوات منهجية معينة .

وتعمل مع الطلاب على حل المشكلات التي يمكن أن تواجههم من خلال تجزيء المشكلة إلى عناصر ثم دراسة كل عناصرها.

4- طريقة المحاضرة: **والتي تقوم على الإلقاء المباشر** وهي أكثر الطرق السائدة في التعليم الجامعي ويفضلونها عن غيرها من الطرق والأساليب التعليمية.

صعوبات تعلم البلاغة العربية

ومن هنا وقعت كثير من الأخطاء في عملية تدريس هذه المادة توزعت فيها المسؤولية بين مختلف عناصر العملية التعليمية بداية من المشرفين على عملية التدريس, مرورا بالمتلقين لها, والمناهج المقترحة لتدريسها..وصولا إلى المادة العلمية نفسها، مما جعل الدرس البلاغي عقيما لا ينتج ولا يثمر في كثير من الأحايين.

حيث يشتكي الطلبة **في الجامعات** كثيرا من **مادة** البلاغة وتعلمها لصعوبة قواعدها وجفافها مع ألفاظ أدبية من غير البيئة التي يعيشونها. ويشتكي المدرسون أيضا في تدريس البلاغة من حيث طريقة العرض والتدريس.. **وإذا استقرأنا الصعوبات** المرتبطة بتعليمية البلاغة العربية وجدناها تتوزع على المحاور التالية:

أولا: صعوبات تتعلق بمادة البلاغة: تمثل المادة البلاغية عنصرا مهما في العملية التعليمية وفي نفس الوقت

تشكل هما كبير ا يؤرق المدرسين والطلبة على حد سواء، فأكثر كتب البلاغة المعتمدة لدى المدرسين لا تلبي حاجة البلاغة نفسها ما بالك بحاجة المتمدرسين أنفسهم خاصة وأن الشواهد فيها من القديم تبدو للطالب غريبة وصعبة، ويتسم أغلبها بالجفاف والجمود وهي مبتورة عن نصوصها، مع تكررها في أكثر الكتب.كما تُقدم عناصر البلاغة ومباحثها وكأنها منفصلة عن بعضها لا رابط ولا صلة بينها، بل وتقدم أيضا منفصلة عن الأدب ومختلف فروعه... وما زاد الهم ثقلا أنها تقدم بعيدا عن الميولات النفسية والمهارات الفردية لدى الطلبة، مع قلة الحصص والتدريبات، ويمكننا أن نوجز هذه الصعوبات في العناصر التالية:

1- طبيعة المؤلفات والكتب التي تدرس منها البلاغة ويعتمدها الأساتذة.

2- إهمال الربط بين مختلف عناصر البلاغة التي تتحد وتتقارب غاياتها (كالجناس والازدواج والتورية...)،كونها من الجمال المعنوي. (الأمر النهي والاستفهام) كونها من الطلب[8]...

3- الاعتماد على أمثلة الكتاب والتقيد بشرحها وتحليلها والتي غالبا ما تكون مكررة في كتب البلاغة ومقطوعة عن سياقاتها مما يزيدها تشويشا واختلافا في فهم الفكر البلاغي العربي.[9]

4- عدم اهتمام المحتوى بتنمية المواهب والذوق لدى الطالب لعدم تلبية محتوى المادة لحاجياته النفسية ومتطلباته.[10]

5- قلة الحصص المقررة في البرامج لمادة البلاغة عموما والحصص التدريبية على الخصوص.

6- الفصل بين البلاغة وبين الأدب ومختلف فروع اللغة الأخرى كالنصوص والإملاء وغيرها.[11]

ثانيا: صعوبات تتعلق بمدرس البلاغة: **رغم التحسن الذي طرأ على مستوى** الأساتذة وتمكنهم من طرق التدريس، إلا أن الكثير منهم لا يزال مشدودا إلى الفلسفة التعليمية القديمة مع بعدهم عن التخصص وفقدانهم للذوق والإحساس بجماليات النصوص، مما جعلهم يعتبرون عقل الطالب وعاء لحفظ المعلومات واسترجاعها وعليها تتم عملية **الاختبارات، فسلكوا مسلك الاستئثار بالكلام والاستبداد بالرأي دون الحوار والمناقشة مع** الطلبة بعيدا عن الجانب التطبيقي، ويمكن توزيع هذه الصعوبات على العناصر التالية:

1- عدم التخصص وضعف الإعداد الأكاديمي لبعض الأساتذة وعدم تمكنهم من مهارات التذوق الأدبي والبلاغي وعدم معرفتهم الجيدة بطرق وأهداف التدريس وأساليب التقويم المختلفة للبلاغة العربية.[12]

2- استئثار المدرس بالكلام وفرض رأيه على الطلاب وحرمانهم من إبداء أرائهم وانطباعاتهم الفنية والذوقية (لا يترك المدرس الطالب يشاركه موضوع الدرس والحصة البلاغية.)[13]

3- عدم الربط بين المعلومات النظرية **مع** الممارسات التطبيقية.

ثالثا: صعوبات تتعلق بالطالب: يفد على الجامعة كل سنة عدد هائل من الطلبة الغالب فيهم الضعف في اللغة والأدب والبعد عن معرفة أساليبها وإدراك

أسرارها والتفاعل مع المعاني والدلالات والعناصر المكونة للصور والجماليات فيها..، **إضافة إلى النفور من الكتب والمقررات وعدم** تفاعلهم مع الأساليب والطرق التعليمية مما انجر عن ذلك الصعوبات التالية:

1- الضعف الرهيب في اللغة والأدب مما أدى إلى عدم التفاعل مع الموضوع وفهم كثير من **أسراره وعناصره.**

2- نفور الطالب من الأساليب والطرق التقليدية في عرض النصوص الأدبية وتلقين قواعد البلاغة العربية.

3- **نفور الطالب من الكتب المختصرة التي** توجهه إلى الحفظ والاستظهار بدل التفكير وتذوق **النص.**

رابعا: صعوبات تتعلق بطرق التدريس: تعتبر أساليب التدريس من مكونات المنهج الأساسية، ذلك أن الأهداف التعليمية لا يمكن تقويمها إلا بواسطة ال**مدرس** إضافة إلى الأساليب، فغياب وسائل الجذب والترغيب، وعدم استثارة فاعلية الطلاب ونشاطهم، وعدم اختيار الطريقة أو الأسلوب المناسب، وسوء تقدير الموقف والدخول في التفريعات والتقسيمات على حساب المضامين والمحتويات مع الجفاف والجمود الذي يطبع المادة والشواهد التي تقدم كدليل على اللون البلاغي المعروض يطعن في العملية التعليمية خاصة الطريقة أو الأسلوب الذي يقدم من خلالها، وأن ذلك ينتج عنه عدد من الصعوبات المرتبطة بطرق التدريس نجملها فيما يلي :

1- يغلب على درس البلاغة العربية الطريقة الإلقائية في ظل غياب الوسائل التعليمية كاستخدام السبورة وغيرها.

2- عرض الدرس بطريقة جافة خالية من الجمال الأدبي بحيث لا تنمي الذوق والإحساس الفني في عرض الشواهد من القرآن والشعر[14]...

3- الاهتمام بالمصطلحات والتقسيمات والتفريعات والاستدلال المنطقي والعقلي على حساب تكوين الذوق والجمال الفني.[15]

4- الاعتماد على الأمثلة المصنوعة والجمل المقتضبة لا على النصوص لسرعة الوصول إلى تحديد اللون البلاغي.[16]

خامسا: صعوبات تتعلق بطرق التقويم: يعتمد كثير من المدرسين في عملية التقويم على أسئلة تقيس قدرة الطالب على الاستظهار والحفظ لا الفهم والتحليل والتذوق مما شكل صعوبات في طرق التقويم تتجلى في العنصرين التاليين:

1- بعض ما يطرحه المدرسون ، وما تطرحه الكتب من أسئلة يقيس قدرة الطالب على الحفظ والاستظهار دون المهارات في التفكير والقدرة على التحليل والنقد والموازنة.[17]

2- أساليب التقويم لا تساهم في تشخيص جوانب القوة والضعف لدى الطلبة ولا تعمل على تطوير تعلم البلاغة.[18]

مقترحات وحلول:

نتيجة لما مر معنا من تحديد أهم الصعوبات والمعوقات التي اعتبرناها مشكلات حقيقية في عملية تدريس البلاغة العربية خاصة في مرحلتها الجامعية يمكننا بعد ذلك إيراد مجموعة من المقترحات والملاحظات حول تعليمية مادة البلاغة العربية محاولة منا لإيجاد بعض التصورات والحلول وتقديم مقترحات نضعها بين أيدي الباحثين والمختصين.

1- تشكيل فرق من الخبراء والمختصين تضطلع بالمهام التالية:

- دراسة صعوبات تعلم البلاغة ووضع التصورات والحلول (تحديد الصعوبات واقتراح طرق علاجها).
- إجراء دراسات لتقويم كتب البلاغة المعتمدة في الدراسة لجميع المراحل التعليمية خاصة منها الجامعية.
- إعادة النظر في أهداف تدريس البلاغة.
- إعادة النظر في البرامج والمقررات الدراسية.
- اختيار أنسب الطرق في تدريس البلاغة وتأكيد الاستيعاب عند تدريسها وإبعاد الطلبة عن دور المتلقي.

2- إثراء محتوى البلاغة العربية في المرحلة الجامعية بمزيد من أوجه النشاط والتدريبات والتطبيقات البلاغية والتنويع في الأمثلة والشواهد والنصوص المعتمدة.

3- تدريس البلاغة من خلال النصوص الأدبية مما يسهم في تحصيل المادة البلاغية ووعي الطلبة لها وإدراكهم أهميتها واستخداماتها.

4- محاولة المختصين تحيين البلاغة العربية حتى تصبح مستجيبة لكل المقاربات الحديثة وإيجاد

العلائق الممكنة التي تربطها مع (الأسلوبية، علم النص، سيميائيات النص، لسانيات الخطاب، النحو الوظيفي..).

5- محاولة العمل على خلق جسر تواصل صريح وصادق ـــ مبني على التوافق والاستفادة لا التصادم والإلغاء ـــ بين إسهامات القدماء وإنتاجات المحدثين (الربط بين التراث البلاغي القديم والنماذج اللسانية المعاصرة).

الإحالات

1 - انظر مثلا: شفيع السيد: **البحث البلاغي عند العرب** تأصيل وتجديد، **دار الفكر**، بيروت، **لبنان**، ط2، 1966 ـــ ص13 .

2 - **انظر مثلا:** شوقي ضيف: **البلاغة وتطورها**، **دار المعارف**، **مصر**/ البيان العربي: **بدوي طبانة**، **دار الثقافة**، بيروت، **لبنان** 1986 .

3 - أبو هلال العسكري: الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، ص 19/25 .

4 - عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، **مطبعة المدني**، ط3 **مصر** 1413هـ/ 1992م.

5 - أبو يعقوب السكاكي: **مفتاح العلوم**، **دار الكتب** العلمية، بيروت، **لبنان**، دون تاريخ.

6 - أحمد خليل: المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، بيروت 1968، ص135.

7 - منهاج اللغة العربية وآدابها في التعليم الثانوي، وزارة التربية الوطنية الجزائر، **جوان** 1995، ص11/12

8 - **محمود رشدي خاطر وآخرون:** طرق تدريس اللغة العربية والتربية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة، **دار المعرفة**، القاهرة 1989، ص188

9 - عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني للغة العربية، **دار المعارف**، القاهرة، **مصر**،1980، ص321.

10 - **بسام القواسمي:** أساليب تدريس البلاغة، **بحوث** ومناقشات الندوة الأولى حاضر اللغة العربية وأساليب تدريسها في الجامعات الفلسطينية، **مركز الأبحاث**

الإسلامية، كلية التربية، جامعة القدس، مؤسسة دار الطفل العربي 1987، ص 141

11- عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني للغة العربية، ص321.

12 - عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني للغة العربية، ص321.

13 - جودت الركابي: طرق تدريس اللغة العربية، دار الفكر، دمشق 1995، ص160 وما بعدها .

14 - محمود رشدي خاطر وآخرون: طرق تدريس اللغة العربية والتربية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة ، دار المعرفة ، القاهرة 1989، ص188

15 - حسن شحاتة: تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق ، الدار المصرية اللبنانية، مصر 1993، ص191

16 - حسن شحاتة: تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق 1993، ص191.

17 - محمد صالح سمك: فن التدريس للتربية اللغوية، الأنجلو مصرية، القاهرة 1979، ص806

18- محمد صالح سمك: فن التدريس للتربية اللغوية، ص806 .